

السبت 08-12-2007

99-اعتذار، وجبيرة حول المنهج

الخطوط العريضة للفرض الأساسى لنقد "العطر" اعتذار ضرورى

وعدت أمس أن تكون يومية اليوم هى امتداد حوار أمس، وذلك لأهمية ما ورد إلى فى آخر لحظة من رسالة ابى محمد، والضيف الذى افتقدناه هذا الأسبوع د. كريم شوقى، لكننى حين حضرت فجر اليوم بحثت عن الرسائل على مكتى، فلم أجدها. الساعة الخامسة صباحاً، والسكرتير لن يحضر قبل الثامنة، أثناء البحث وجدت أوراقاً تتعلق ببداية نقدى رواية العطر، الأمر الذى أشرت إليه أمس، وقبل أمس، وكثيراً، قلت لنفسى فهى فرصة أن أبدأ فيما أجلته طويلاً.

بمجرد أن انتهيت من كتابة خواطرى حول المنهج الذى اقترحتة على نفسى لأقوم بنقد هذا العمل الرائع نقداً يستأهله وجدت أنها تصلح أن تظهر يومية الغد، وأن تزيح البريد المؤجل إلى يوم الجمعة القادم.

لكن رسالة محمد إبنى لم تستطع الانتظار فهربت من هذه الوصاية، وقفزت كاملةً لنتفتح بها باب "المحررون الضيوف"، فوافقتها وأنا خجلان من أن يكون الافتتاح "عائلياً" هكذا، ولكن ماذا أفعل ولم يتفضل علينا أى من المحررين القدامى، فى "الإنسان والتطور" بالمشاركة حتى الآن، مع أنى دعوتهم بالاسم منذ اليوميات الأولى ("عود على بدء، ثم نرى" يومية 1-9-2007)

وبافتتاح هذه الزاوية أكرر الدعوة، وبالاسم، للأصدقاء القدامى، ثم أعمم الدعوة لكل من يرى أننا نستأهل إسهامه، وبالذات كل من يريد أن يكتب تعليقا متكاملاً (مثل محمد إبنى الذى بدأنا به اليوم) أو كل من يرفض أن نقطع تعقيبته ونقلبه حواراً، تماماً مثلما كان الحال فى الإنسان والتطور (المجلة (1980 - 2002)

وفيما يلى دعوة جديدة إلى المحررين القدامى وبالاسم.

قائمة بالدعوة

كتاب مجلة الإنسان والتطور 1980-2002

زينب عزب	د. رفعت محفوظ	د. مجدى عرفة
د. عبد الحميد كايش	د. باهر محمد	د. عماد حمدى غز
عبد الحميد الكاشف	الزينفصل الشبيد	د. محمد هويدى
د. هناء سليمان	د. محمد حسيب	وفاء خليل
د. صلاح تخيمر	الدفراوى	د. سيد حفطى
عصمت دو استاشى	د. محمد السماحى	محمد جاد الرب
محمود لاشين	إبراهيم عادل حسن	د. أسامة بهاء الدين
د. محمد يحيى الرخاوى	د. وفاء الليثى	د. مها محمد كامل
د. مرقص عوض	أ. حافظ عزيز	د. باهر محمد الزين
زينب عزب	د. يسرية أمين	د. محمد شعلان
أسامة عبد الحلیم	محمود حنفى	علاء إبراهيم
زكى	محمود لاشين	عبد المنعم عبد
محمد عبد السلام	د. عاطف طنطاوى	القادر
ولد دوح	د. مرقص عوض	د. رفعت لقوشة
وليد منير	فؤاد قنديل	د. خالد الدش
فؤاد سلامة	محمد عبد المطلب	د. حلمى شوقى المصرى
عباس الصهبي	أحمد المذثر عيسى	د. ماهر شفيق فريد.
أحمد زغلول الشيطى	د. سامى عبد القوى	محمود حنفى
د. عصام اللباد.	على	د. محمد المخزنجى
رضا عطية	د. عصام طنطاوى	السيد أحمد زرد
صلاح الدين محسن محمد.	فاطمة مدكور	أحمد زرور
د. أسامة عرفة	محمد محمود عثمان	حازم شحاتة
أ. مجدى حسنين	د. عادل مصطفى	عبد المنعم رمضان
د. عاطف عبد السلام	د. إبراهيم أبو عوف	اعتدال عثمان
أحمد عبد السلام	عباس الصهبي	فؤاد حجازى
بسيون	هالة جبر	سفاروق حسان
محمد شقرة	كوثر مصطفى	رضا عطية
هشام أحمد أحمد	شس الدين موسى	راوية همودة
ماجد يوسف	عبد الوهاب الأسوانى	وليد منير
منتصر القفاش	خيري عبد الجواد.	صفية فرجانى
طارق النعمان	سير عبد الفتاح	د. إلهام عبد الحميد
سها النقاش	أحمد فضل شبلول	إيمان مرسال
إيمان مرسال	- حلمى سالم	د. حسام حشمت
على الشرقاوى	رجب الصاوى	د. عيد صالح
د. إيهاب الخراط ..	نعيم عطيه	عبد المنعم الباز
د. رمضان بسطاويسى	د. أحمد صبحى منصور	د. هانى يحيى
أ. إدوار الخراط	أ. ياسر عبد اللطيف	د. أحمد حسين
صالح عيد	أ. يوسف عزب	د. أحمد الفار
د. عادل مصطفى	د. أحمد تيمور	
نعيم صبرى	أ. فريد زهران	
	أيمن حامد عبد الشافى	

عن اقتراح منهج لنقد رواية العطر:

بداية وحيرة!

امتد المنهج الذى اهتديت إليه وأنا أقرأ - ناقداً - أصداء سيرة محفوظ إلى أن أغرائى أن أتبعه هو هو فى قراءتى لأحلام فترة النقاهة، الأمر الذى أوصل العمل فيه بمشقة رائعة متعبة ومتحدية .

خلاصة خطوات هذا المنهج يمكن إيجازها فيما يلى:

- يُكتب المتن كما هو فقرة فقرة،
- يُقرأ هذا الجزء نقدا بذاته لذاته
- ثم بعد الانتهاء من كل الفقرات، تجرى القراءة الطولية (الشاملة)

كان الإغراء باتباع هذا المنهج هو طبيعة العمل الأول (الأصداء) حيث وصلنى باعتباره مجموعة أصداء تتردد، وكأنها خواطر تقفز من مخزون الذاكرة لتُعاش فى وادى الإبداع وهى تتردد أصداءً بين جنات الجبال المحيطة من الخيرات والرؤى والمشاعر، بهذه الصورة: يمكنك أن تستمع إلى نغم كل صدى يتردد منفرداً وكأنك تختبر كفاءة آلة عزفه، آميلاً أن تعزف اللحن كاملاً حين تنتهى من الاطمئنان لسلامة وجودة أداء كل آلة صدى على حدة،

حين رحت أطبق نفس المنهج فى قراءتى الأحلام وجدت صعوبات بلا حصر: فمن ناحية لقد عاشرت كاتبها وهى تولد، ثم لحت آثارها عليه وهى تيزغ، ثم قرأتها متقطعة وهى تنشر، ووصلنى منها ما قبلته وما رفضته، وهى لم تشذنى، - كما فعلت الأصداء- أبداً لقراءتها ناقداً، ومن ناحية أخرى مثلت لى كلمة "حلم" التباساً مزعجاً حتى رحت أنبه نفسى طول الوقت أنه ليس حلماً بالمعنى الشائع عند الناس، مع أن الإبداع الحقيقى عندى ليس إلا حلماً فائقاً، كما أن الحلم الحقيقى عندى ليس إلا إبداع الشخصى العادى على مستويات مختلفة (**إبداع الشخص العادى، وإبداع المرأة !! يومية 29-9**)، ثم كانت ثمة صعوبة ثالثة هى أنني خشيت - ومازلت أخشى- أن يُقرأ النقد الذى أحاوله على أنه "تفسير للحلم"، وهذا من أكثر الأمور بعداً عن اهتمامى، وأحياناً عن احترامى، بما فى ذلك الكتاب الذى يقول عنه كل الناس، بما فى ذلك مؤلفه، أنه درة أعمال كاتبه سيجموند فرويد، وهو كتاب "تفسير الأحلام"، وقد أثبت موقفى بوضوح من تفسير الأحلام، وكذلك من طبيعة الحلم والشعر والإيقاع والإبداع فى عمل متكامل سابق (**الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع**)

فماذا أغرائى بعد كل ذلك أن أجرب نفس المنهج فى قراءتى للعطر؟

أعتقد أن دافعى إلى ذلك هو أن كل فقرة من هذه الرواية النادرة كانت تمثل لى إثارة نقدية، ليست أقل إلهاماً من أحلام محفوظ، فعلاً كانت ولا تزال تصلنى تحدياً معرفياً يغرينى بمحاورتها قبولا، أو شحذاً للوعى، أو نقداً، أو إعادة تشكيل:

قلت: فلنبداً، ولنجرب بضعة صفحات، ثم نرى هل يصلح نفس المنهج لقراءة رواية العطر؟ وكيف؟ ولماذا؟
تجربة محدودة (عينة)

حين كتبت عن حاسة الشم تلك اليوميات الثلاثية **يومية 3-12** (رائحة اللذات، والحياة، والجسد، والأشياء)، **يومية 4-12** (العين الداخلية) (والأنف الداخلية كذلك)، **يومية 5-12** (الأنف تدرك مثل العين أحياناً)، حضرتني رواية العطر، وبصراحة كانت هي الدافع الذي حفزني أن أكتب في موضوع الشم هكذا، قلت لعل الأوان قد آن لاستكمال نقد الرواية ونشره، وبدأت باقتطاف أول جزء من الرواية، بدون تعليق.

اليوم حين بدأت في قراءة لها ناقداً وثقت في الترجمة إلى العربية مرة أخرى وفرحت بها بلا تردد.

بمجرد أن كتبت صفحتين، وأعدت قراءتهما، تيقنت أن هذا المنهج، هكذا، لا يصلح إلا أن يكون مسودة، فأكملت مع نفسي: "وما المانع أن استغل هذه اليومية في نشر مسودات ما أحاوله، في هذه السن وسط هذه الزحمة، ذلك لأنني لا أضمن، بل لعل على يقين أنني لن أتمكن من تبييض كل مسوداتي. فليتحملني القارئ، أو يرشدني، أو يحول دون استمرارى، أو يأذن الله في أمري.

العنوان

العطر [11]

قصة قاتل

هذه رواية كتبت سنة عام 1985 ونشرت سنة 1997 وترجمت إلى (سنة وأربعون لغة)، تقيمي للترجمة في ذاتها، دون الرجوع للأصل بالألمانية طبعاً (مع المقارنة المحدودة بالنسخة الإنجليزية)، بقدر اجتهادى أنها ممتازة حتى خيل إلى (مثل ترجمة سامي الدروبي لروايات ديستوفسكى)، أنها إعادة إبداع النص بلغة أخرى (أنظر بعد).

من البداية حتى النهاية تحفظت على العنوان الفرعى "قصة قاتل" فأنا لم أستقبل غرينوى أبداً باعتباره قاتلاً بالمعنى الإجرامى، وذلك برغم عدد القتلى، ونوع القتل، وبشاعة طريقة القتل، فإنه لم يصلنى أن هذه الصفة بالذات "قاتل" هي التي تميزه،

غرينوى كان إلهاً زائفاً،
نيزكا ساقطاً إلى أعلى
كان جسماً غريباً بانساً،
كان متفرداً غيباً،
كان قرادة جافة مُنْقَضَه،
وكان - أيضاً - قاتلاً لأنه كان كل هذا،

فلماذا يفرض علينا المؤلف هذا العنوان الفرعى هكذا

على الغلاف حتى لو وصله هو شخصياً أنها "قصة قاتل".

أول فقرة ص (5)

في القرن الثامن عشر عاش في فرنسا رجل ينتمي إلى أكثر كائنات تلك الحقبة نبوغاً وشناعة، وهي حقبة لم تكن لتفتقر إلى أمثال هذه الكائنات، وقصة هذا الرجل هي ما سنرويها هنا. كان اسمه جان باتيست غرنوي **Jean-Baptiste Grenuille**. وإذا كان اسمه اليوم قد طواه النسيان على نقب نوابغ أوغاد آخرين، مثل دوساد، سان جوست، فوشيه أو بونابرت وغيرهم، فذلك بالتأكيد ليس نتيجة أن غرنوي بمقارنته مع هؤلاء الرجال الموهوبين الأكثر شهرة، يقل عنهم تعالياً واحتقاراً للبشر ولا أخلاقية، وباختصار كفراً.

بعد مقارنة متواضعة لهذه الفقرة الأولى التي هي موضوع هذه اليومية، بالترجمة الإنجليزية (انظر نهاية اليومية) قررت فعلاً أن اعتبر المتن العربي الذي بين يدي بمثابة نص مُبدعٍ مستقل، وألا أرجع إلى الترجمة الإنجليزية إلا مضطراً، أما الأصل الألماني فادعو الله ألا اضطر أن استشيريه إلا عندما يحتل منى السياق تماماً، فأجدني محتاجاً جداً إلى الأصل الألماني، ربما يدعم أو ينفي فرضاً من فروض الصعوبة.

تعبير "الكائنات" هنا وصلني بدلالة خاصة، الكاتب لم يقل رجل ينتمي إلى أكثر الناس أو الأشخاص، فهو يذكرنا مباشرة ومن البداية أننا لسنا إلا كائنات، مجرد أحياء، وأن الإنسان هو أحد هذه الأحياء، أحد هذه الكائنات.

ثم إن الكاتب راح يجد صفات هؤلاء النوابغ الأوغاد، منهم غرينوي بكل مما يلي: (1) التعالي (2) واحتقار البشر (3) واللاأخلاقية،

نبدأ بمسألة اللاأخلاقية حيث أن موضوع تعريف ما هو أخلاقي هو إشكال في ذاته (يمكن الرجوع إلى يومية 10-15 "من ملك القيم والأخلاق في مصر الآن) وبالتالي، فإن صفة اللاأخلاقية تصبح أضعف الصفات دلالة في وصف هذا الكائن، (وأمثاله الأكثر شهرة وسلطة وقسوة وقتلاً)، أما التعالي واحتقار البشر، وهما شديداً الاتصال سبباً ونتيجة بالتبادل، فلهما دلالة مهمة في فهم موقف غرينوي لاحقاً، موقفه من التنازل عن الحب لصالح ما تصوره الحياة. الاحتقار والتعالي، نفى حاسم. وربما مطلق لأي حب (ربما من أي نوع)، وهذا ما أرجو أن يتضح خلال مراحل النقد المختلفة.

أما اقتران كل هذه الصفات بل إيجازها في كلمة واحدة وهي "الكفر" فهذا ما قد يدور حوله أغلب النقد المقدم هنا، ربما ربطاً بدراسي عن الإخوة كارمازوف واستحالة الاخاد (بيولوجيا) (تبادل الأفعنة "حركية العلاقات البشرية جدلاً وامتداداً في الإخوة كارمازوف")، وربما هي فرصة لتقديم معنى آخر للكفر والإيمان.

أما مسألة ربط الكفر، بالنبوغ بالوغندة فهذا يحتاج إلى

وقفة أمام كلمة **نبوغ**، نحن نعلى من قيمة النبوغ بشكل متواتر دون النظر فيها بما يكفى، هل افترت هنا كلمة نبوغ بالوعدنة كنعقيذين أم كمترادفين؟ **النايعة يمكن أن يكون وغداً، لكن هل الوغد يمكن أن يكون نايعة؟ أم أهما لفظان متلازمان، ولو واتتنا الشجاعة ربما قلنا "إن كل نايعة وغداً،" أو على الأقل هو "مشروع وغداً" بشكل أو بآخر، وإذا كان الكاتب قد اختار دوساد وسان جوست، وفوشيه، ويونابرت، كأمثلة فقد خطر ببالي نيته، وأينشتاين، مع أنى أحبهما جدا (أتساءل الآن: هل استطعت أن أحب غرينوى أبدأ، وأؤجل الإجابة حتى نهاية الدراسة)**

إلتزمت بالألفاظ العربية دون ما يقابلها بالإنجليزية .

التحدى المزج:

آن الآوان أن نناقش هنا نفس الفقرة بالانجليزية [2]2

In eighteenth-century France there lived a man who was one of the most gifted and abominable personages in an era that knew no lack of gifted an abominable personages. His story will be told here. His name was Jean-Baptiste Grenouille, and if his name - in contrast to the names of other gifted abominations, de Sade's, for instance, or Saint-just's, Fouche's, Bonaparte's, etc. - has been forgotten today, it is certainly not because Grenouille fell short of those more famous blackguards when it came to arrogance, misanthropy, immorality, or , more succinctly, wickedness,

بصراحة عجزت عن أن أجد الألفاظ المتقابلة بين اللغتين.

- بدأت باللغة العربية وبلفظ "وغداً" فوجدته (مع الإيجاز الشديد): **وَعُدَّ** (بضم العين "الأساس"): كان رذلاً دنيئاً صغير العقل (الوسيط)

- **ووَعُدَّ** (أساس البلاغة/الزحشوى): دئى، وأصله: **"سهم لا حظ له.** (فهئتاه، لم يُصِبْ هدفه، لاحظ كيف سيتطابق ذلك مع غرينوى)

ثم رحت قبل أن أقرأ النص الانجليزى لأجد أقرب لفظين إلى المعنى هما Villain & Scounder وفضلت الأخير.

لكننى حين قرأت النص المترجم وجدت أنه ترجمة إلى abominable فرحت أستشير المعاجم الإنجليزية فلم تسعبنى بما يفسر الاختلاف.

وبما أنى أكاد أزعم أنى أعرف غرينوى معرفة كافية، فقد وجدت الوصف باللسان العربى هو الأقرب إليه.

- أما لفظ **نايعة**، فقد جاء ما يقابله بالانجليزية Gifted، وهو الذى يعنى عندى "موهوب"، والنبوغ عندى (وربما عند الكثيرين) ليس مرادفاً للهبة .

[1] - تأليف: باتريك زوسكيند -

ترجمة: نبيل الحفار - الناشر: دار المدى عام 2003

- أما ما يقابل لفظ "الكائنات" الذى اعتمدت عليه لأرجع بغيرنى - فيما بعد - إلى بدائيته المتأهية، فلم أعثر على ما يقابله في النص الإنجليزي إلا لفظ Personage!!

- وأخيراً، فإن لفظ الكفر، الذى يمكن ان تدور عليه فكرتى لفروضى الحورية يقابله في الإنجليزية لفظ Wickedness وهل هذا الاختلاف يحتاج إلى تعليق؟

بصراحة انزعجت انزعاجا بالغاً وطرحت كل ذلك جانباً وقلت:

إن ما وصلنى من النسخة بالعربية، سوف يكون منبعى ومصبى، حتى لو كان مؤلف النص الذى أقرأه ناقداً هو د. نبيل الخفار وليس باتريك زوسكيند.

الخطوط العامة لفرض الدراسة (مؤقتاً):

- غرينوى - بطل الرواية - لم يوجد أبداً، لم يعترف أحد بوجوده، منذ الحمل حتى النهاية الغامضة، فراح غرينوى منذ اختار الحياة - بقاءً - حتى لو كان نيزكا منفصلاً، اختارها: بديلاً عن الحب، راح يخلق نفسه بنفسه لنفسه.
- غرينوى خلق له روحاً (رائحة) متفردة، شكلها من توليفة من أرواح نقيه لم تتشوه بعد، انتزعها انتزاعاً من العذارى الجميلات، الواحدة تلو الأخرى، وكأنه يقتنى ألوان لوحته الزيتية الفريدة،
- حين أتم غرينوى صناعة نفسه بنفسه حاول أن يفرضها على الناس - كل الناس - فرضاً، دون علاقة أصلاً
- نجح غرينوى - في ذلك من وجهة نظره بطريقته - فزاد انفصالاً عن الناس الذين سجدوا له، ذهبوا عنه، وعن أنفسهم،
- هكذا سقط غرينوى في هاوية التجاهل والإنكار، والوحدة من جديد.
- انكشف زيف ألوهيته له، قبل أن ينكشف للناس
- نجح غرينوى أن "يبقى" رغماً عن كل ما أنكروه عليه
- أن تبقى ليس مرادفاً لـ "أن تحيا"
- لم ينجح غرينوى أن يحيا بشراً بين البشر.
- الإنسان لا يكون بشراً بروحه ولا برأئحته ولا بسحره ولا بقوته ولا بتأثيره،
- الإنسان لا يكون بشراً إلا بجدل متصل مع بشر مثله تماماً، ليس مثله بمعنى أن يساويه أو يشبهه، وإنما مثله بمعنى أن يمارس نفس تجربة التواصل مثله، بنفس صعوباتها وجدلها

وتحدياتها ومفاجآتها،

- لا غرينوى ولا أمه، ولا أى ممن ظهرُوا فى الرواية استطاع أن يفعلها، لكنهم رضوا أن يحاولوا، وأن تستمر المحاولة حتى لا يتألهوا زيفاً.
- غرينوى قرر أن يستغنى عن المحاولة (عن الحب)
- النهاية مازالت تقلقنى
- وعندى لها أكثر من تفسير محتمل،
- لذلك سوف أوْجل الحديث عنها لعل أحد هذه الاحتمالات يرجع أثناء ممارسة النقد فقرة فقرة (إذا ما صلح هذا المنهج أصلاً!!)